المحاضرة الثالثة

مناجم الذهب والماس وأثرهما في تطور المقاومة بجنوب افريقيا خلال ق١٩

و في العقدين السابع والثامن من ق١٩ انتهت سلسلة الحروب و الثورات التي قام بها السكان الأصليون ضد المهاجرين البيض في مقاطعة الكاب و الأقاليم المحيطة بها بعد أن استمرت ما يزيد على قرن من الزمن، لكن تلك الحروب و الثورات انتقلت الى الشمال من مقاطعة الكاب في الإقليم الممتدة ما بين نهري زفيزي و لمبوبو بعد هجرة الأوروبيين إلى الشمال من مقاطعة الكاب متوغلين في قلب القارة الأفريقية منذ الربع الأول من القرن التاسع عشر و كان أولهم البوير ثم تبعهم الأنكليز بعد اكتشاف مناجم الذهب و الماس في تلك الأقاليم، فاحتدم النزاع بين السكان الأصليين من جهة و البوير و الانكليز من جهة أخرى، لأن هذه الهجرة جاءت على حساب أراضي السكان الأصليين. فهبوا للدفاع عن أراضيهم و ممتلكاتهم. و نظرا للمقاومة العنيفة من جانب السكان الأصليين خاصة قبائل البانتو العنيفة، فقد أتحد المهاجرون من البوير للقضاء على تلك المقاومة فطهرت جمهورية الأورنج الحرة عام ١٨٥٢ بين نهري النرويج و القال و جمهورية الترانسفال في عام ١٨٥٤ إلى الشمال من نهر الغال ، و اعترفت الحكومة البريطانية بهاتين الجمهوريتين بعد تأسيسهما، و في عام ١٨٥٨ تم التعاون بين جمهوريات البوير و مستعمرة للقضاء على موشيش زعيم قبائل البانتو الجنوبي بعد أن هدد أراضي جمهورية الأورنج و الأقسام الشرقية من مقاطعة الكاب، و في عام ١٨٦٧ تجددت الحرب بين موشيش و جمهورية الأورنج و استولت الاورنج على أخصب أراضي قبائل البانتو الجنوبية.

و في عام ١٨٦٩ اكتشف الماس في مقاطعة كمبرلي قرب ملتقى نهر الغال و الأورنج ضمن حدود جمهورية الأورنج و تم تأسيس مدينة كمبرلي عام ١٨٧١ و أصبحت مركزا لصناعة تعدين الماس، و في عام ١٨٨٥م أكتشفت

مناجم الذهب في اقليم راندي في جمهورية الترانسفال و في عام ١٨٨٦ تم بناء مدينة جوها نسبورغ كمركز لصناعة الذهب.

ان اكتشاف المعادن الثمينة أدى إلى مضاعفة الضغط الذي سلطة المستعمرون البيض على السكان الأصليين بدافع استغلالهم في صناعة التعدين و بناء المدن و الطرق و الجور بأسلوب العمل القسري يضاف إلى ذلك سياسة التمييز العنصري التي سلكها البوير خاصة في عهد الرئيس كروجر فحددوا مناطق خاصة لإقامة السكان الزنوج تسمى بالمعازل و التي شغلت نسبة ١٦% من مجموع مساحة الترانسغال يسكنها ٧٠% من السكان الأصليين، و لم يكن يسمح لهم مغادرة هذه الأماكن إلا في حالة الذهاب للعمل في المدن حيث خصصت أحياء خاصة لسكناهم في المدن أيضا.

إن سياسة البوير في السيطرة على الأراضي الزراعية الخصبة اضطر اعدادا كبيرة من السكان الأصليين إلى الهجرة للمدن طلبا للعمل بعد أن فقدوا أراضيهم الزراعية، فاستغلهم المهاجرون الأوروبيون في صناعة التعدين و بناء شبكات السكك الحديدية و الطرق و الجسور و سكن هؤلاء في أحياء خاصة بهم فانتشرت الأوبئة و الأمراض الفتاكة بينهم و أودت بحياة أعداد كبيرة منهم دون رقيب و محاسب، و بقي قسم منهم يعملون كرقيق لدى البوير في ظروف جد قاسية جدا.

ان هذا الأسلوب الجديد في استغلال المدن و سياسة التمييز العنصري من جانب البوير أديا إلى المجابهة القوية من جانب السكان الأصليين، فنشبت سلسلة من الحروب في شمال مقاطعة الكاب بين البوير و الأنكليز من جهة و السكان الأصلين من جهة أخرى، لكن الغلبة كانت دائما بجانب الرجل الأبيض، ففي الأخير من القرن التاسع عشر تمكنت البريطانية من توجيه ضربة قوية إلى كل من قبائل الكسوسا في حرب ١٨٧٧-١٨٧٩ و الزولو في

حرب ١٨٧٩-١٨٨٠ و الباسوتا في حرب ١٨٨٠-١٨٨١. لقد خاض السكان الأصليون هذه الحروب دفاعا عن ممتلكاتهم و أراضيهم، لكن هذه القبائل الافرية الثلاث قد حلت بها هزيمة ما حقة، ولم يكن ذلك بسبب تجاذل الأفارقة أمام الرجل الأبيض و عدم استعدادهم الافي للحرب، بل على العكس فإن جيش الزولو قد وصل إلى درجة من التنظيم بزعامة "كيتجفايو" فقد أعد ٢٥ ألف مقاتل يجيدون القتال و هم على طهور الخيل، و لا زالت الصورة الموجودة في المجلات و الصحف العسرية الأوروبية دليل على بطولاتهم، و كان أبرز دليل على بطولة قبائل الزولو هو التحامهم مع الجنود البريطانيين بالسلاح الأبيض في معركة ٢٢ كانون الثاني ١٨٧٩ و التي فيها ٨٠٠ من البريطانيين و ٥٠٠ من أبناء الزولو. و هناك قصص مذهلة حول بطولة أبناء الزولو في تلك المعركة و التي دونها مجنوك أحد أفراد قبيلة الزولو من الذين ساهموا في المعركة، و بعد أن احتلت بلاده من جانب القوات البريطانية هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية و عمل صحفيا في المجلات فنشر الكثير من المقالات حول حروب الزولو و بطولاتهم في معاركهم التي خاضوها ضد الجيش البريطاني.

تركت انتصارات الزولو أثرا قويا على العلاقات السياسية في أوروبا، ففي انكليترا كانت هذه الأنتصارات أحد أسباب سقوط حكومة المحافظين بزعامة دزرائيلي، كما تركت أثرا ليس بالقليل على الجو السياسي في فرنسا، ذلك أنه قتل في تلك المعارك الممثل الأخير لسلالة نابليون الأول و هو ابن نابليون الثالث في الوقت الذي كان فيه حزب بونابرت على درجة كبيرة من القوة في فرنسا و تكهنت المحافل السياسية في أوروبا باحتمال وصوله إلى السلطة، فلم يكتف الأمير الشاب بما ورثه من مجد عسكري عن جده نابليون الأول فجاء الأول على جنوب افريقيا يطلب المزيد من المجد العسكري عن طريق حربه ضد قبائل الزولو ملتزما جانب القوات البريطانية، و أدى مقتل الأمير الى ضعف الحزب البونابرتي و أثر ذلك على الجو السياسي في فرنسا.

لقد أثارت انتصارات الزولو الأعجاب خارج القارة الأفريقية انتشرت أخبار انتصاراتهم في معظم الدول الأوروبية في الوقت الذي استمرت إنكلترا في إرسال إمدادات عسكرية إلى جنوب أفريقيا حتى وصل عدد القوات

البريطانية في اقليم الناتال إلى ٢٠ ألف مقاتل، و بهذا الأسلوب تمكنت الحكومة البريطانية من القضاء على مقاوة قبائل الزولو و القي القبض على زعيم كيتجفايو و أجبر على الاقامة في انكلترا، ثم قسمت بلاد الزولو الى مقاطعات صغيرة وزعت ادارتها على مجموعة من زعماء القبائل ثم نشطت حكومة الكاب في أثارة الفتن و الخصومات بعضهم ضد البعض الأخر و هذا ما كلف قبائل الزولو ضحايا كثيرة في الأنفس و الممتلكات أكثر من ضحايا حرب ١٨٧٩، و لما توقف القتال بين هذه القبائل بعد أن انهكها قامت الحكومة البريطانية في عام ١٨٨٧ باحتلال وطن الزولو تحت حجة المحافظة على الأمن و النظام و أطلقت عليه تسمية "زولولند" ثم تم ضمه إلى مقاطعة الكاب بصورة رسمية.

استخدمت الحكومة البريطانية في حربها ضد قبائل الزولو و الباسوتو و الكسوسا قوة جبارة غاشمة و سلاحا ناريا فتاكا مما كلف تلك الشعوب ضحايا جسيمة إلى درجة أصبح فيها زعماؤها و ابناؤها يعتقدون أن الاستمرار في المجابهة العسكرية للسلطة البريطانية لا تجدي نفعا، و أن الشجاعة غير قادرة على تحقيق النجاح تجاه الأسلحة النارية المتطورة، أصبح من الصعب على الدرع و الحربة و الرمح مجابهتها بعد العقد السابع من القرن التاسع عشر، لهذه الأسباب اضطرت هذه القبائل الشجاعة إلى مهادنة الاستعمار البريطاني بصورة مؤقتة حتى جاءت ثورة عام ١٩٠٦.

قائمة باهم المصادر والمراجع:

- **عبد الله عبد الرازق (إبراهيم)، شوقي (الجمل): دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مصر، ١٩٩٨ م،**

– عبد الحميد(بطريق، عبد العزيز أنوار): التاريخ الأوروبي الحديث، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٩٥ ،

- مصطفى (الخالدي)، عمر (فزوغ): التبشير والاستعمار في البلاد العربي، منشورات المكتبة العصرية، لبنان، ١٩٥٣م،

-Mnguni-three hundred year history of south Africa vo:1 Cape town. 1952.P.14.

- جلال (يحي): تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ١٩٩٩ م،

- محمد فاضل(على الباري)، سعيد(إبراهيم كردية): المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م،

- محمد السيد(سليم): تطور السياسة الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط٢ ، دار الفجر الجديد للنشر والتوزيع، مصر ٢٠٠٤ م

-فيصل (محمد موسى): موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة، بلا مكان، ١٩٩٧ م

- شوقي (عطا الله الجمل)، عبد الرزاق(ابراهيم عبد الله): تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري للتوزيع والمطبوعات، مصر، ٢٠٠٠ م،

- يحي(بوعزبز): الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات، د، م، ج،

.

- شوقي عطا الله(الجمل)وآخرون: الموسوعة الإفريقية، م ٢ ، اليوبيل الذهبي لمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، مصر، ١٩٩٧ ،

- محمد بن ناصر (العبودي): أيام في النيجر، لبنان، ١٩٩٤ م،.

-عبد الله عبد الرزاق(إبراهيم): المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، عالم المعرفة للنشر والتوزيع الكويت ١٩٨٩ م،

- فيج–حي–دي: تاريخ إفريقيا، تر: دار السيد يوسف نصر، دار المعارف، بلا مكان ١٩٨٢ م،
- رعد مجيد (العاني): تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، بلا مكان، ٢٠٠٧ م،
- جفري (برون): تاريخ أوروبا الحديث، تر: علي المرزوقي، دار الأهلية للنشر والتوزيع، بلا مكان، ٢٠٠٦ م،